شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢٣ ابن بابي

﴿زمانهُ ودينه واخبارهُ﴾ هو احد كبار الكتّاب عاش في اواخر القرن الخامس للهجرة واوائل السادس اعني في القرن الحادي عشر للمسيح. اصلهُ من بغداد من نصارى النساطرة وانما انتقل الى مدينة واسط التي كانت في ذلك العهد من حواضر العراق متوسطة بين الكوفة والبصرة واشتهر بين ادبائها. وقد افادنا عن كل ذلك عماد الدين الاصفهاني في تأليفهِ خريدة القصر وجريدة العصر قال : (Ms de Leide. 881, ff 163, Ms de Paris 3326 ff. 163v) «الرئيس ابو غالب نصر بن عيسى ابن بابي الواسطي النصراني توفي بعد الخمسمائة وكان من ظرفاء واسط واعيانها ولهُ شعرٌ لطيفٌ ونظم ظريف وعبارة مستعذبة وكلمات مطربة معجبة. ولم ادرك زمانهُ. انشدني لهُ الرئيس العلاء بن السوادي بواسط سنة ثلث وخمسين وخمسمائة (١١٥٨م) وذكر انهُ كان من بغداد واقام مدّة عمرهِ بواسط»

﴿شعرهُ﴾ قال ابن السوادي انشدني ابو غالب ابن بابي النصراني الكاتب لنفسهِ (من مجزوء الكامل) :

وعشقتُ حتّى ما أُما لُ وهِمتُ حتى ما أُفيقُ
وانا بغدريّ الصبا بةِ في الهوى نَسبي عريقُ

(قال) وانشدني ايضاً ابو غالب لنفسهِ في جاريةٍ دخلت عليهِ يوم كسوف الشمس في لباسٍ اسود (من الكامل) :

عايَنْتُ في حُلَل السوادِ خريدةً مثلَ القضيبِ المائلِ المَيّاسِ
قلتُ: أَسْلَمي ماذا اللباسُ وغيرهُ أدّى الى الإبهاجِ والايناسِ
قالت: فهذي الشمسُ أُختي عُوجلَتْ بالافتضاحِ في اعينِ الناسِ
طلعَتْ فشاكلتُ الضياءَ بطلعتي ودَجَتْ فشاكلتُ الدُّجى بلباسي

(قال) وأنشدني ابن بابي لنفسه في بغداد سابع ربيع الاوّل سنة سبع وخمسين (١١٦٢م) يصف غلاماً ورد من سفر شاحباً (من السريع):

فديتُ مَن أقبَلَ من سَفْرةٍ فأقبلت نفسي على أنسها
وقلتُ اذ أبصرتُهُ شاحباً قد خضَّبَتْهُ الشمس من وَرْسِها
ما كان عندي انَّ شمسَ الضُّحى تعملُ في الخَلْقِ وفي نفسها

ولهُ في غلام رَمِدٍ (من البسيط):

واهيفٍ كقضيبِ البانِ مقلتُهُ تُنمَى اليها جفونُ الشادنِ الخَرِقِ
قالوا: تمكَّنَ من اجفانهِ رَمَدٌ ابدى محاجِرَها في حلّةِ الشرَقِ
فقلتُ: بل وجهُهُ شمسٌ منوّرةٌ كسَتْ لواحِظَهُ من حمرةِ الشفَقِ

ولهُ في غلام خازنٍ (من التقارب):

أيا خازناً حافظاً للحِفا ظِ أصبى الانامَ بوجهٍ مليحِ
لَئِنْ كنتَ تحفظُ مالي لقد أضعْتَ بهجرِكَ قلبي وروحي

وقالَ في غلامٍ خيّاط (من الطويل):

مررتُ بخيّاطٍ حكى البدرَ طلعةً وشاكَلَ غُصْنَ البانِ لمّا أنثنى قدّا

يَقُدُّ ويَفْري الثوب ثمَّ يَخيطهُ فَلِمْ ثوبُ قابي لا يُخاط وقد قُدَّا

وقال في صديق نال رتبةً شريفةً فسها عنهُ (من الطويل):

منَحْتُكَ صَفْوَ الودِّ اذ نحن جيرةٌ ومَوْرِدُنا في الأُنس جمُّ الجداولِ
وأَمَّلْتُ ما قد كان من رُتَب العلى فلا تُحدِثَنْ لي فيك زَهْوَ المُطاولِ
فانَّ الغصونَ الشامخاتِ تميلُها جَناها فتدنو من يد المُتناولِ

وقال في الشوق (من البسيط):

عِطْفاً سُعادُ فقد أَوْدَى بيَ الكَمَدُ وخانني صاحبايَ الصبرُ والجَلَدُ
وعُدْتُ اطلبُ في تيَّار حُبِّكمُ شريعةً ارتقي فيها فلا أَجِدُ
طَرْفي جَنى وفؤادي فيكِ تابعهُ فكيفَ خُصَّ باثواب الضَّنى الجسدُ

وقال في معناهُ وفيهِ لزوم ما لا يلزم (من مجزوء الرمل):

كلَّ يومٍ لا أراكم هو عندي مثلُ حَوْلِ
فانا المُدْنفُ بالشو قِ ولا عُوَّادَ حَوْلي
جُلُّ ما ألقاهُ فيكم أن أعانيهِ بحَوْلي(١

وقد وجدنا لهُ في مجموعةٍ مخطوطة عند المرحوم طنوس افندي اصقر قد نسبها لابي غالب الواسطي (ص ٤٩ من الكتاب) (من البسيط):

ما زلتُ أزجرُ قلبي عنكمُ ثقةً بأنَّ عِقْدَكمُ ما زال محلولا
فحَلَّ بي عندكم ما كنتُ أحذرهُ ليقضيَ اللهُ إمرًا كان مفعولا

وقال يصف المُدام وساقيَها (من الطويل):

١). الحَوْل في البيت الاوَّل السَّنة وفي الثالث القوَّة والجَلَد

وضافيةٍ صهباء من نَسْل كَرمةٍ منابتُها قد أعرقتْ في المكارمِ
يطوفُ بها ساقٍ أغرُّ كأنّهُ هِلالٌ تبدّى من مُتون الغمائمِ
لواحظُهُ وَقْعُ الأسنّةِ دُونها وألفاظُهُ سَلُّ السيوفِ الصوارمِ
وفي عارضَيْهِ للمُحبِّ معاذِرٌ بخطِّ عِذارٍ كفَّ غَرْبَ اللوائمِ

وقال في غلام (من المتقارب) :

تبسَّمَ عن بَرَدٍ ناصعٍ ولاحظَ عن رُهَفٍ قاطعِ
وحطَّ اللِّثامَ فقُلنا الغمامُ تجلّى عن القَمَرِ الطالعِ

ورُوِي لهُ ايضاً هناك (ص ١٨) قولهُ (من البسيط):

يا بعينَيْكَ من غُنجٍ ومن حَوَرٍ وما بخدَّيك من وَرْدٍ ومن زَهَرِ
وما بثغرِكَ من دُرٍّ ومن بَرَدٍ وما بهِ من رُضابٍ فاترٍ عَطِرِ
وطُرَّةٍ طارَ لُبّي عند رؤيتها وغُرَّةٍ تركتْ عيني على غَرَرِ
وحاجبٍ حجبَ السلوانَ عن فِكَري وعارضٍ عَرَّضَ الاجفانَ للسَّهَرِ
وقامةٍ قد أماتَتْني على قدَمٍ في مَعركِ الوَجْد والإطماعِ والحَذَرِ
هَبْ لي أماناً من الهِجران انَّ لهُ كاساً تجرَّعتُ منها علقمَ الصبرِ

٢٤ ابن ابي سالم النصراني

﴿اصلهُ . دينهُ . اخبارهُ . وشعرهُ﴾ هو ايضاً احد الشعراء الذين ذكرهم عماد الدين الكاتب الاصفهاني في كتابهِ خريدة القصر وجريدة العصر (Ms de Paris 1414, ff. 192, Ms de Leide, 881) قال في نسبهِ : هو الرئيس ابو الحسن عيسى بن

الفضل النصراني المعروف بابن ابي سالم، ثمّ ذكر زمانهُ وقد ادركهُ العماد في شيخوختهِ ورآهُ في اواسط القرن السادس للهجرة كشيخ بهيّ ولم يذكر سنة وفاتهِ . ومما يؤخذ من كلامهِ انهُ خدم بني مروان اصحاب ميّافارقين وبني بُوَيه . وهذا كلامهُ :

«الرئيس ابو الحسن عيسى بن الفضل النصراني المعروف بابن ابي سالم وكان شيخاً بهيّاً . ولما حلّ والدي (١ باوصل سنة اثنتين واربعين وخمسمائة (١١٤٧ م) كان يزورنا ويعرض علينا العم الصدر الشهيّة عزيز الدين اليهِ (٢ ولم اثبت لهُ شيئاً فسألت الآن الشاتانيّ (٣ فقال : هذا من بيت كبير ابوهُ كان وزير بني مروان بميّافارقين (٤ وامّهُ يقال لها الستُّ الرحيمة قال لها نِظام المُلك (٥ : أأنتِ الستُّ الرحيمة ؟ قالت : بل الأمة

---

١) والد عماد الدين الكاتب يدعى صفيّ الدين ابا الفرج محمّداً

٢) قول العماد «العمّ عزيز الدين» يريد بهِ عمّهُ ابا نصر احمد الاصبهاني المتوفي وبهِ عُرف هو بابن اخي العزيز . قال ابن خلكان (ص ٨٩) كان العزيز رئيساً كبير القدر ولي المناصب الجليلة في الدولة السلجوقية ولم يزل مقدّماً فيها . قصدهُ بنو الحاجات ومدحهُ الشعراء واحسن جوائزهم . . . وكان ابن اخيهِ العماد يفتخر بهِ كثيراً . قتلهُ السلطان سنجر بن ملكشاه سنة ٥٢٥ وقيل ٥٢٦ هـ (١١٣٠ م)

٣) الشاتاني هو علم الدين ابو علي حسن بن سعيد ولد في شاتان بلدة في نواحي دياربكر سنة ٥١٣ هـ (١١١٩ م) وتوفي في شعبان سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م) كان اديباً شاعراً سكن بغداد ومدحهُ العلماء وكان قدم دمشق وعُقد لهُ فيها مجلس وعظ سنة ٥٣١ (١١٣٧ م) وقدم على صلاح الدين ايُوب في مصر سنة ٥٧٣ (١١٧٧ م) فاكرم مثواهُ

٤) بنو مروان المذكورون هنا يُنسبون الى ابي عليّ بن مروان الكردي تولى بعد ان قُتل باد خالهُ سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠ م) على ديار بكر وعلى المدن اللاحقة بها كآمد وارزن الروم وميافارقين وحصن كيفا وسعى الى مصر فقلّدهُ الخليفة العلوي المعزّ لدين الله ولاية حلب وكانت وفاتهُ سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م) قتلهُ اهل آمد فخلفهُ اخواهُ مهذّب الدولة ابو منصور (٣٨٧-٤٠٢) ثم نصر الدولة ابو نصر احمد (٤٠٢-٤٥٣) ثم ابنا نصر سعيد ونصر (٤٥٣-٤٧٣) واخرهم منصور ابن نصر بن احمد فاستولى على دولتهِ سنة ٤٧٨ فخر الدولة بن جهير (١٠٨٥ م)

٥) نظام الملك هو ابو علي الحسن كان اصله من طوس . اتّصل بالب ارسلان بن داود بن ميكائيل السلجوقي فخدمهُ بدهاء وزيرهِ فعزّ شأنهُ وبنى المدارس والمساجد . قال ابن خلكان هو اوّل من انشأ المدارس فاقتدى بهِ الناس واليهِ تنسب المدرسة النظاميّة في بغداد سنة ٤٥٧ (١٠٦٥ م) قتلهُ صبيّ ديلمي سنة ٤٨٥ في ١٢ رمضان (١٠٩٢ م)

المرحومة. وكان (ابن ابي سالم) مشهوراً بين ارباب الدولة ولهُ اشعار غثَّة وسمينة واهية ومتينة وقد وازَنَ الاميرُ تميم بن المعزّ المصري (١ في قولهِ:

أيربُ بها عنّ ام يربُ جنّهُ حكيتُنهُنّ ولستُنّ هُنّهْ

بقصيدة اوَّلها (من الطويل):

لقد عَذُبَ الماءُ من ريقهنّهْ وطابَ الهواءُ بانفاسهنّهْ

ولهُ الى بهاء الدولة (٢ صاحبَ شاتان (٣ وقد سافر الى حصن زياد (٤ (من الطويل):

تكونُ بيَ افارقينَ ووُحشتي تريدُ لِنأيٍ عنكمُ وبعادي
فكيف احتيالي والمهامهُ بيننا تحولُ واطوادٌ لحصنِ زيادِ

هذا ما رواهُ العماد الاصفهاني ولم نقف على ذكر ابن ابي سالم في غير العماد كما انهُ لم يعرّف سنة وفاتهِ

٢٥ ابو الفتح بن صاعد

﴿اسمهُ ودينهُ وشعرهُ﴾ هو ايضاً من شعراء بغداد الذين ورد ذكرهم في خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهاني ومنهُ يُعرف زمانهُ انهُ كان في القوت

---

١) يريد ابا علي تميم بن المعزّ. كان ابوهُ صاحب الديار المصريّة والمغرب وهو الذي بنى القاهرة المُعزّية. لم يملك ابنهُ تميم بعدهُ لانَّ ولاية العهد كانت لاخيهِ العزيز وكان هو شاعراً ماهراً لطيفاً ورد ذكرهُ في كتاب اليتيمة للثعالبي مع كثير من مقاطيع شعرهِ (١ : ٣٥٥-٣٤٥) توفي تميم سنة ٣٧٤ هـ وكان مولدهُ ٣٣٧ هـ (٩٤٨-٩٨٤م)

٢) هو بهاء الدولة ابو نصر بن عضد الدولة بن بُوَيه ملك العراق توفي سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م)

٣) شاتان قلعة في ديار بكر

٤) قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٣٧٦) : « حصن زياد بارض ارمينية ويعرف اليوم بخرتبرت وهو بين آمد وملطية وهو الى مَلَطْيَة اقرب »

السادس للهجرة والثاني عشر للمسيح وقد دعاهُ في كتابهِ (Ms de Leide, 881, f. 54v°) جمال الرؤساء ابا الفتح بن صاعد النصراني (Ms de Paris, 1447, ff. 54v°). وقد وجدنا في مخطوط آخر من مكتبة ليدن في كتاب اخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء للملك المنصور صاحب حماة المتوفى سنة ٦١٧هـ (١٢٢٠) (Ms de Leide 884) ثم في طبقات الشعراء لابن ابي اصيبعة (١: ٢٧٥) انهُ يُدعى جمال الرؤساء ابا الفتح هبة الله بن الفضل بن صاعد البغدادي

ولم يُفدنا هؤلاء الكتبة شيئاً عن اخبار ابي الفتح إلَّا انهم رووا لهُ قطعاً من شعرهِ. فمنها رواهُ العماد الكاتب قولهُ ملغزاً في وصف خيمة (من الوافر):

وذاتِ ذوائبٍ بيضٍ خوالٍ ... وليس بياضها من فَرْطِ كِبْرِ
لها فَرْجٌ وليستْ ذاتَ بعلٍ ... يطاها الناسُ من عبدٍ وحُرِّ
وآذانٌ وليس تُصيخ سمعاً ... الى الدعي وليست ذات فَقْرِ
ويحملُ بطنُها عدداً كثيراً ... ولم تَرَ حاملاً شخصاً بظَهْرِ
ترى في ساقها قيدَيْ حديدٍ ... وكلٌّ منهما في عرضِ شِبْرِ
وتُنظَر اكثرَ الاوقاتِ حُبلى ... وفي وقتِ الولادةِ ذاتُ طُهْرِ
فقَسِّرْ ما ذكرتُ وكن مُبيناً ... لما أَلْغَزْتُ من معنًى وشِعْرِ

وروى لهُ صاحب اخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك قولهُ في غلام (من مجزوء الرمل):

زاد في حُسْنِ حبيبي ... ما بهِ زادَ الجنونُ
عارضٌ أَنبَتَهُ الحُسْـ ... ـنُ يَتَرْعاهُ العيونُ

وقال في العِذار (من المنسرح):

يلومُني في هواهُ قومٌ ... ما رأيهم في الهوى صحيحُ

فكيف أسلو وقد بدا لي عذارُهُ الاخضرُ المليحُ

وقال في وصف غلام (من مجزوء الخفيف) :

يا لعَيْنٍ فسِحْرُها جَلَّ عن سِحْرِ بابلِ
وجفونٍ قَسَّتْها منعَتْ من تواصُلي
وعِذارٍ تقيمُ عُذْ ريَ عنـد العواذلِ
تحت صدغٍ مُبَلْبِلٍ زائدٍ في بلابلي
لا تسلَّيْتُ عن هوا هُ وان كان قاتلي

وقد جاء في كتاب طبقات الاطبّاء لابن ابي اصيبعة انَّ امين الدولة ابا الحسن هبة الله المعروف بابن التلميذ الطبيب النصراني كتب الى المترجم جمالِ الرؤساء ابي الفتح جواباً الابياتَ التالية (١ : ٢٧٥) :

١ نشرُ انفاسِ الرياض مريضةٌ عوّادُها طلُّ الندى وقطارُ
بديعةِ تيْماء حلّى وَجْهَها وحيا عليها حنوةٌ وعَرارُ
كفلَتْ بثروتها مؤبّدةً بها وكفى صداها جدولٌ مدرارُ
بكَتِ الماءَ فأضْحكَتْها مثلما ابكي فتضحكُ بي الغداةَ نوارُ
واذا تعارضُها ذكاءُ تشمّمَتْ فتمازَجَ الزوّارُ والنوّارُ
مشَتِ الصَّبا بفروعها مختالةً فصبا المشوقُ وغيرهُ استعبارُ
واذا تغنّى الطيرُ في أرجائها ابدى بلابلَ صدْرهِ التذكارُ
يوماً بأطيبَ من جوادكَ شاهداً او غائباً تدنو بك الاخبارُ

(له بقيّة)